السياق اللغوي و أثره في العدول التركيبي
(الخطابة السياسية الأموية نموذجًا)

إعداد الباحث
محمد ماهر محمد عبد الرحمن
المدرس المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة دمياط

المقدمـــــــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن ، وعلَّم الإنسان البيان ، واختص العرب بفصاحة اللسان ، والصلاة والسلام على رسوله العدنان ، صلاةً تدومُ ما دام القمران ، وتوالى الحدثان .

وبعد

فموضوع هذا البحث :" السياق اللغوي و أثره في العدول التركيبي (الخطابة السياسية الأموية نموذجًا) ، وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب ، وهي :

أولًا : أهمية السياق اللغوي في بيان غوامض النص .

ثانيًا : مناقشة آراء بعض علماء اللغة في كون السياق مذكِّرة تفسيرية أو إيضاحية تلي النص ، لا تسبقه ولا توازيه ، وبيان أثر السياق (اللغوي) في تشكيلِ الخطابِ "بوصفهِ طاقةً دينامية فاعلة تؤثرُ على بنية النص الداخلية وأسلوبه ، وليس إطاراً ساكناً يدور النص في فلكه [1].

ثالثًا: خصوصية التطبيق على الخطب الأموية ، نظرًا للطبيعة الخاصة لهذا العصر ، والظروف التي تحكم التراكيب اللغوية فيه .

رابعًا : محاولة الوصول إلى سمة التركيب اللغوي المشتركة بين الأحزاب السياسية ، والتي تميز كل حزب عن غيره .

خامسًا: بيان الأثر الدلالي للعدول التركيبي في الخطب الأموية .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ، وخمسة مباحث تقفوها خاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع ، أما التمهيد فقد اشتمل على مدخل ، وتعريف السياق في اللغة والاصطلاح ، ولمحة عن الخطابة في العصر الأموي ، ثم كانت المباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : أنواع السياق .

المبحث الثاني : أثر السياق في العدول في التركيب الاسمي البسيط.

المبحث الثالث: أثر السياق في العدول في التركيب الاسمي المقيَّد.

المبحث الرابع: أثر السياق في العدول في التركيب الفعلي .

المبحث الخامس: أثر السياق في العدول في التركيب الشرطي .

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

---

(١) طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، صـ ٢١٥ وما بعدها ، المركز الثقافي العربي ، ط٢، الدار البيضاء ، المغرب ٢٠٠٦م.

التمهيـد :

لا يمكننا أن نتكلم أو ندرس لغة ما في فراغ ، أو بمعزل عن السياق العام المحيط بالعملية الكلامية ؛ لأنها ظاهرة اجتماعية تُنسب إلى قوم معينين وهؤلاء هم الذين يتواصلون بها ، ويمارسونها من أجل تدبير أمور حياتهم في مجتمعهم الذي يؤثِّر في اللغة ، وتؤثر فيه تأثيراً متبادلاً دائماً.[١]

" إن فكرة السياق Situationality ، وعلاقته بالخطاب إحدى القضايا الأساسية التي شغلت الفكر الإنساني منذ أقدم العصور حتى الآن "[٢] ، فلقد اهتم البلاغيون في دراستهم للسياق بمقتضى الحال في قولهم : "البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وبالعلاقة بين المقام في قولهم : لكل مقام مقال ، وإذا نظرنا إلى المقال على أنه يمثِّل السياق اللغوي نجد أن عبد القاهر الجرجاني يربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي ، والتركيب الذي قيلت فيه حيث يقول : " لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها.[٣]

وإذا نظرنا إلى المقام وهو السياق الحالي المصاحب للتركيب نجد أن سيبويه قد اهتم بملابسات المسرح اللغوي ، وما يترتب على ذلك من الحكم على العبارة بالصحة أو الخطأ ، كما في قوله : " وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال : أنا عبد الله منطلقاً ، وهو زيد منطلقاً ، كان محالًا ؛ لأن(هو ، وأنا)علامتان للمضمر إذا عُلم أنك قد عرفت من يعنى ، إلا أن رجلاً لو كان خلف حائط أو في موضع تجهله فيه فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك ، كان حسناً ".[٤]

فقد حكم سيبويه على التركيب " أنا عبد الله منطلقاً " و " هو زيدٌ منطلقًا " مرة بالخطأ – على الرغم من أنه من وجهة النظر النحوية صحيح – استنادًا على ما أراده المتكلم من معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يخبرك عن نفسه أو غيره بالانطلاق ، فكان حقه أن يقول : أنا منطلق ، وهو منطلق ؛ ولأنك لا تضمر فتقول " أنا " أو " هو " حتى تكون معروفًا ، فتستغني عن قولك

---

(١) يحيى عبابنة وآمنة الزغبي ، علم اللغة المعاصر ، صـ٤٣، مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الثقافي ، ط١ ، الأردن ، ٢٠٠٥م .

(٢) حلمي خليل ، الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، صـ١٥٧، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ الإسكندرية ١٩٩٦م .

(٣) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر ، صـ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، مطبعة المدني القاهرة ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.

(٤) سيبويه ، الكتاب ، ٨٠/٢ ، ٨١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، القاهرة ، ١٩٧٩م .

عبد الله أو زيد .

وتارة حكم على التركيب نفسه " أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك" بالحُسن استناداً إلى ملابسات المسرح اللغوي المصاحبة للتركيب ؛ لأن المتكلم ينادي رجلاً خلف حائط فهو يجهله ، أو يجهل مكانه فمن ثَم أفاد قوله : أنا عبد الله ، ثم بيّن حاله .

كما اهتم العلماء المحدثون بالسياق ، وأصبحت نظرية السياق – لديهم الركن الرئيس الذي يُعوَّل عليه للوصول إلى التفسير المقبول للنص " فإعادة بناء السياق هي محاولة للوصول إلى فهم النص ".[١]

أولاً : السياق (لغة واصطلاحاً)

١ـ السياق في اللغة

للسياق – في اللغة – معانٍ عديدة ، وأصل السياق : المَهْر ، ويقال ساق إلى المرأة مهرها : أرسله[٢] .

يقول ابن منظور : " ساق الإبل وغيرها ، يسوقها سوقاً .... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً ، إذا تتابعت ، وفي حديث أم معبد : فجاء زوجها يسوق أعنزاً ما تساوق ، أي : ما تتابع ، والمساوقة : المتابعة.[٣]

فيما أشار الزمخشري إلى الربط بين سوق الإبل وسوق الحديث مجازاً بقوله : " ومن المجاز ، هو يسوق الحديث أحسن سياق ، وإليك يساق الحديث ، وهذا الكلام مساقه إلى كذا ، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده".[٤]

واعتمد مجمع اللغة العربية هذا المعنى ، ففي المعجم الوسيط : ساق الحديث : سرده وسلسله ، وساوقه : تابعه وسايره وجاراه ، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه ".[٥]

وفي دائرة معارف القرن العشرين : ساق الحصان ، يسوقه سوقًا وسياقه حثه على السير من خلفه ، وسياق الكلام : أسلوبه ، وجاءت هذه الكلمة في سياق الكلمة ، أي : في ضمنه.[٦] ، ولعل أقرب المعاني لما نحن بصدده

---

(١) براون ويول ، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفى الزليطني ، ومنير التريكي ، صـ٦٠ النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة (س . و . ق) ، صـ٨٩٥ ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، بيروت ، لبنان ،١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ١٦٦/١٠٠ ، مادة (سوق) ، دار صادر ، بيروت .

(٤) الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ٤٨٤/١، طـ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٥) مجموعة من علماء اللغة العربية بمصر ، المعجم الوسيط ٤٦٥/١ ، ط٣ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٥م .

(٦) محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ،٣٢٣/٥، طـ٣ ، دار الفكر بيروت ١٩٧١م .

معنى المتابعة والمقاودة .

أما في غير العربية ، فالسياق كما يقول عيد بلبع : " يتكون Context من السابقة اللاتينية Cun بمعنى مع ، و Textus اللاتينية أيضاً التي تعنى النص أو المتن. (١)

٢ـ السياق في الاصطلاح

ورد لفظ السياق في التراث العربي ، واستُعمل استعمالات مختلفة إلا أنه لم يوضع له تعريف معين ، ولم يجر له في كتب الاصطلاح ذكر(٢) ، إلا بعد استخدام مالينوفسكي وفيرث له ، فالقدماء لم ينصّوا على تعريف اصطلاحي للسياق ، على الرغم من ممارستهم له وإيمانهم بأهميته ، وقد انتهى أحد الباحثين(٣) إلى أن مصطلح " السياق " في التراث العربي يدور حول ثلاث نقاط :

الأولى : أن السياق هو الغرض : أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام.

الثانية : أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها .

الثالثة : أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل .

ويرى تمام حسان ، وجمعان عبد الكريم : أن المقصود بالسياق : التوالي من ناحيتين :

الأولى : توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب ، ومن هذه الزاوية يسمى " سياق النص "، **الأخرى** : توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي ، وكانت ذات علاقة بالاتصال ويسمى " سياق الموقف ".(٤)

وبإنعام النظر في هذه التعريفات ، يُلاحظ أن السياق هو كل ما يحيط بالنص من عواملَ تُعين على فهمه ؛ سواء أكانت عوامل لغوية داخلية متمثلة في العلاقات الصوتية ، والصرفية والنحوية ، والدلالية ، أم عوامل غير لغوية خارجية متمثلة في حال المخاطب والمخاطب أو المخاطبين وكذلك الزمان والمكان ، والغرض من النص ودواعيه ، والإشارات والإيماءات والتلميحات ، والحركات المصاحبة للموقف الكلامي ....إلخ .

---

(١) عيد بلبع ، السياق وتوجيه دلالة النص ، صـ١٢٦ ، بلنسية للنشر والتوزيع ، ط١ ، شبين الكوم ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٨ م .

(٢) ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، صـ٤١، مطبوعات جامعة أم القرى سلسلة الرسائل العلمية ١٤٢٤هـ .

(٣) ردة الله بن ردة ، دلالة السياق صـ٤١ : ٥١.

(٤) ينظر :تمام حسان : مقال قرينة السياق ، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم ، مطبعة عبير للكتب، طـ١ ، صـ٣٧٥، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، جمعان عبد الكريم ، إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، المركز الثقافي العربي ، طـ١ الدار البيضاء ٢٠٠٩ م ، صـ٤٠٠.

ثانياً : الخطب السياسية الأموية

أما الخطب الأموية فقد جمعها أحمد زكي صفوت في كتابه "جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة " ، وأفرد لها الجزء الثاني وبلغ مجموعها مائتين وثمانين خطبة (٢٨٠) ، موزعة على النحو التالي :

الحزب السياسي	عدد الخطب
بنو هاشم ، وشيعتهم	٢٨
التوابون	٣٦
الزبيريون	١٦
الأمويون	١٣٧
الخوارج	٣٣
الفتن و الأحداث	٣٠
الإجمالي	٢٨٠

حيث ازدهرت الخطابة السياسية في العصر الأموي (٤١هـ ـ١٣٢هـ) كنتيجةٍ مباشرة ، ورد فعلٍ طبيعي لظهور الفرق والتجمعَّات الإسلامية التي ناصبت الأمويين العداء ، ودخلت في صراعٍ معها دام حتى سقطت دولة الأمويين ، وبعض هذه الفرق الإسلامية ظهر على الساحة السياسية مبكراً كـ " **الشيعة والخوارج و الزبيريين** " بينما تأخر ظهور البعض الآخر بسبب الاجتهادات الدينية ، والكلامية مثل "**المعتزلة**".

ولم يقف الأمويون من هذه الفِرق موقف المشاهد ، ولكنهم كانوا على قدم المواجهة معهم باللسان تارة ، وبالسيف تارة أخرى ، وهذا العراك الفكري والصراع السياسي أثمر عن ظهور وثائق أدبية (شعرية ونثرية) واشتملت الثانية على الخطب ، والرسائل السياسية المتبادلَة بين أطراف النزاع وأقطاب الخصومة ، وانمازت بظواهر لغوية على المستويين التركيبي والنصي ، وأخرى دلالية وبلاغية ؛ مما يجعلها مجالاً خصباً للدراسة ويضاف إلى ذلك تميُّزها بوحدة الزمان ـ فجميعها يقع في عصرٍ واحد ـ ووحدة القصد ؛ لأنها تسعى إلى إقامة الحُجة ، وإثبات الحق لكل فريق كما يتراءى له .

المبحث الأول :أنواع السياق

اختلفت تقسيمات اللغويين المحدثين للسياق بين الإجمال والتفصيل ؛ فمنهم مَن قسَّم السياق إلى نوعين [١] :

أحدهما : السياق اللغوي

والآخر : السياق غير اللغوي ، أو الاجتماعي ومنهم من جعل السياق ثلاثة أنواع [٢] : أولها : السياق اللغوي ، وثانيها سياق المقام ، وثالثها السياق الثقافي ، ومنهم من جعل السياق أربعة أنواع[٣]، فزاد على التقسيم الثلاثي السابق السياق العاطفي .

بيد أنني أفضل التقسيم الثنائي ، الذي يشمل الأنواع الأربعة المذكورة آنفاً والذي يوضحه المخطط الآتي :

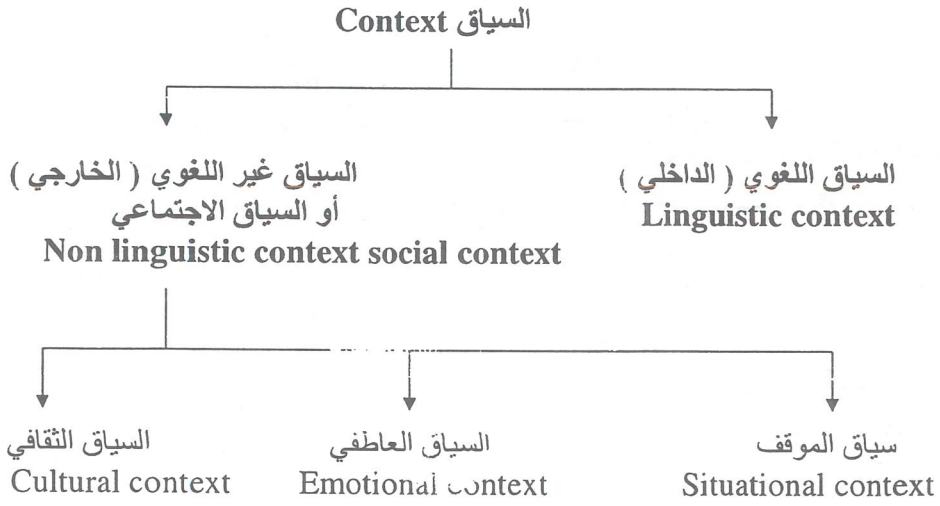

والدافع للباحث وراء هذا الاختيار، ما ذكره محمود فهمي حجازي بقوله : "كلمة السياق كثيرة الدوران في البحوث اللغوية ، تناولها الباحثون في الدلالة بمعنيين مختلفين ، يمكن تحديدهما في أمرين ، هما السياق اللغوي **linguistic context** على عكس السياق الاجتماعي عند فيرث **Firth** باسم **context of situation** أي سياق الموقف، وعند بالمر **Palmer**

---

(١) ينظر في ذلك : محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، صـ١٥٩ ، دار قباء ، ط١، القاهرة ، حلمي خليل ، الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، صـ١٦١ ،عيد بلبع ، السياق وتوجيه دلالة النص صـ١٣٠ ، ١٣١.

(٢) عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، صـ٢٤١ ، وما بعدها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٧ م.

(٣) ينظر : أحمد مختار ، علم الدلالة صـ٦٩، ٧١ ، يحيى عبابنة ، وآمنة الزغبي ، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات صـ٩٦ ، ٩٧.

يسميه **Non linguistic context** أي السياق غير اللغوي.[١]

ويعرض البحث لأثر السياق اللغوي في العدول التركيبي في الخطب الأموية ، و" **السياق اللغوي Linguistic context** "هو حصيلة استعمال الكلمات داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى فيما يكسبها معنى خاصاً محدداً ، فالمعنى الذي يقدمه المعجم – عادة هو معنى متعدد وعام ، ويتصف بالاحتمال ، في مقابل المعنى الذي يقدمه السياق ، ولا سيَّما السياق اللغوي حيث يكون معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم .

وقد تفاوتت تعريفات المحدثين للسياق اللغوي ، فانقسموا إلى فريقين فريق نظر إليه باعتباره دوره في فهم دلالة الكلمة في ضوء ما يسبقها ، وما يليها، ومن هذا الفريق الدكتور**محمد حماسة :** الذي رأى أن السياق اللغوي هو : ما يعتمد على عناصر لغوية في النص ، من ذكر جملة سابقة أو لاحقة ، أو في الجملة نفسها يحوِّل مدلول عنصر آخر إلى الدلالة غير المعروفة له ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ (النحل :١) ، حيث تُعد جملة ﴿ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ قرينة لغوية سياقية تصرف الفعل (أتى) عن دلالته على المُضي إلى دلالته على المستقبل.[٢]

أمَّا الفريق الآخر فنظر إلى السياق اللغوي باعتبار العلاقات الصوتية والصرفية والحوية والدلالية بين الكلمات ، ومن هذا الفريق الدكتور **محمود فهمي حجازي الذي رأى أن** السياق اللغوي يشمل " كل العلاقات التي تتخذها الكلمة في داخل الجملة ، وهذه هي العلاقات الأفقية **Syntagmatic Relations** على عكس العلاقات الجدولية **Paradigmatic relations** وهي العلاقات الاستبدالية التي تتخذها الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها.[٣]

---

(١) محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، صـ١٥٩.
(٢) محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة ، صـ١١٧.
(٣) مدخل إلى علم اللغة ، صـ١٥٩.

المبحث الثاني : العدول التركيبي في عنصري الجملة الاسمية البسيطة

اتخذ العدول التركيبي عدة صور في الخطب السياسية الأموية ، مثل :

(أ) تقديم الخبر على المبتدأ

يقرر النحاة – في باب الرتبة في الجملة الاسمية – تقديم المبتدأ على الخبر باعتباره أصل الرتبة ، يقول سيبويه :" المبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه الكلام .. فالابتداء لا يكون إلا بمبنى عليه ، فالمبتدأ الأول والمبنى ما بعده عليه" [١] ، واستقرَّ أصل تقديم المبتدأ أو تأخير الخبر عند النحاة باعتبار أن الفائدة تقع بالخبر كما جعلوا العلاقة بين المبتدأ والخبر علاقة تابع بمتبوع ، ولزم تقدم المتبوع ليلحق به التابع ، ومن ثم أصبح المبتدأ محكوماً عليه بالخبر لذا كان تقديمه أصل الرتبة ، فأصل المبتدأ التقديم ؛ لأنه محكوم عليه ولابد من وجوده قبل الحكم " [٢].

بيد أنه قد تطرأ بعض الأسباب التي تجعل هذا الأصل واجب الالتزام لا يصح العدول عنه ، كما قد توجد أسباب توجب عكس ذلك وتفرض ذكر المحكوم به أي الخبر ، قبل المحكوم عليه ، أي المبتدأ[٣] ، وذلك إذا تطلب السياق هذا العدول ، أو قصده المتكلم للتنبيه أو لبيان أهمية المقدم ، يقول سيبويه :" وتأخير الخبر على الابتداء أقوى لأنه عامل فيه " [٤].

وتقديم المبتدأ وتأخير الخبر هو الرتبة التي قبلها الكوفيون وذهبوا إليها ولم يجوزوا العدول عنها بتقديم الخبر ، أما البصريون فاستندوا إلى الواقع اللغوي وهو كلام العرب وأشعارهم فقالوا بجواز تقديم الخبر[٥].

ويُفهم من رأى البصريين أن الواقع اللغوي هو السياق الذي يحدد الالتزام بالرتبة من عدمه ، ولذا فإن " الرتبة بين المبتدأ أو الخبر رتبة غير ملتزمة أي حرة في الظروف العادية ، وحينما لا يكون هناك ما يمنع ذلك أي حينما لا يوجد ما يوجب التزام كل منهما مكاناً معيناً ، لم يكن لنا خيار بعد ذلك ، بل علينا أن نحترم ظروف النص ، ودواعي السياق[٦].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١٢٦/٢.

(٢) الاستراباذي ، شرح الرضي على الكافية ٨٨/١.

(٣)على أبو المكارم ، الجملة الاسمية صـ٥٢، دار المختار، ط١ ،القاهرة٢٠٠٧م.

(٤) سيبويه ، الكتاب ١٢٤/٢.

(٥) ينظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، تحقيق أحمد السيد أحمد ٩٢/١، المكتبة التوفيقية ، القاهرة (د.ت) ، ابن مالك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، صـ ٤٦،٤٧ ، الاستراباذي ، شرح الكافية ٢٦١/١.، ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٦٥/١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٧م.

(٦) محمد بكر ، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم ٧٤/٢، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع الكويت (د.ت) .

وتنحصر رتبة الخبر والمبتدأ في ثلاث حالات :
الأولى : وجوب تأخيره ووجوب تقديم المبتدأ عليه.
الثانية : وجوب تقديمه ووجوب تأخير المبتدأ.
الثالثة : جواز التقديم والتأخير ، إذ يستوي الأمران.
وهذه الحالات تعود في الأصل إلى صورتين من الرتبة:
الأولى : الرتبة الأساسية ، وتضم حالتي الوجوب لتقديم الخبر وتأخيره وإذا كانت الحالة الثانية يتقدم فيها الخبر آخذاً الصدارة بدلاً من المبتدأ ، فإنه تقديم واجب ، إذ يلزم الخروج عن الرتبة الأساسية إلى رتبة غير أساسية وفى هذه الحالة : يتحتم بها أن تأتى إحدى الكلمتين أولاً والأخرى ثانياً ولا عكس.
الثانية : الرتبة غير الأساسية ، وتشير إلى الحالة الثالثة التي يجوز فيها تقديم الخبر وتأخيره إذا أمن اللبس ، ومتى وجدت القرينة المميزة بينهما ، وتقترن هذه الرتبة بمعنى يقصد إليه المتحدث لا يتوصل إليه بالرتبة أو البنية الأساسية التي يتقدم فيها المبتدأ.[1]
وتفرض طبيعة النص وسياقه خروجاً عن البنية الأساسية من حيث الرتبة إلى رتبة منطوقة ، تعود في المقام الأول إلى طبيعة المتكلم ومقصده وترتيب المعاني في نفسه ، مع وجود ما يأمن اللبس ، ويوضح الدلالة وهذا ما ارتضاه النحاة في قولنا : (قائم زيد) إذ جعلوا (قائم) خبراً مقدماً ، وقد استحسنه الخليل[2] ، كما وصف سيبويه هذا التركيب بقوله : " وهذا عربيٌ جيد ، وذلك قولك : تميمي أنا ، ومشنوء من يشنؤك "[3] ،
وقال المبرِّد : وتقول منطلق زيد ، فيجوز إذا أردت بـ (منطلق) التأخير لأن (زيداً) هو المبتدأ[4].
وباستقراء الخطب السياسية الأموية ، برز العدول التركيبي على الصور الآتية :
الصورة الأولى : الخبر (شبه جملة) والمبتدأ (معرف بـ ال):
١ـ قول محمد بن الحنفية :" والله ذو الفضل العظيم ، **فلله الحمد** ...."[5].
حيث تقدم الخبر شبه الجملة (لله) على المبتدأ المعرَّف بـ (ال) : الحمد

---

(١) ينظر: تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، صـ٩١ ، عالم الكتب، ط٢، القاهرة١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ، محمد حماسة ، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، صـ٣١٥ ، مكتبة أم القرى ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨٤م.
(٢) سيبويه ، الكتاب ١٧٢/٢.
(٣) السابق نفسه.
(٤) ينظر : المبرد ، المقتضب ١٢٧/٤، ابن جني ، الخصائص ٣٨٤/٢.
(٥) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٧٩/٢.

والبنيـة الأساسـية للتركيـب (الحمـد لله) ، ويـأتي العـدول هنـا لإفـادة التخصيص ، وإفراد الله ـ جل وعلا ـ بالحمد على فضله على آل البيت .

٢ـ قول عتبة بن أبـي سفيان:".. **فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل** "[١].

٣ـ قول زياد بن أبـى سفيان :"... **فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا** "[٢].

يظهـر مـن القـولين السابقين ـ المتفقـين فـي التركيـب النحـوي ـ السمة السياسية للحكم الأموي ، فكلا الخطيبين أبناء حزب وبيت واحد ، لذا ساغ أن يكون العدول تيمة مشتركة في الخطاب ، لما يحمله تقديم شبه الجملة "لنا" والقيد ، "عليكم " من دلالات توحي بالسطوة ، كما يحمل العدول في " لكم علينا العدل " نوعاً من الإلزام الشخصي لهما.

وهذا النمط من التقديم تناوله سيبويه فى "بـاب مـا يقع موقع الاسم المبتدأ ، ويسد مسده ، لأنه مستقر لما بعده وموضع ... وذلك نحو : فيها عبد الله وثم زيد ، وههنا عمرو[٣] .

والتقديم ـ هنا ـ على نية التأخير إذا احتفظ الخبر المقدم بحكمة الإعرابي الذي كـان عليـه قبل تقديمـه ، "وإذا كانت العنايـة بالمقدم والاهتمـام بـه أهم دوافع التقديم لما حقه التأخير فإن العناية والاهتمام تصاحبهما مقاصد أخرى ودلالات يبغيها المتكلم الذى لا يعمد إلـى المخالفة إدلالاً بقوتـه فحسب ، بل تعبيراً عن غرضـه ومراده الذي لا يتـأتى إلا بتراكيب خاصـة مختلفة عن تراكيب الكلام العادي ، من حيث تنظيم الكلمات فيها والعلاقات بينها "[٤].

الصورة الثانية : الخبر (شبه جملة) والمبتدأ نكرة مخصصة بالوصف.

قول عبد الرحمن الثقفي :"... لسانه ملتوٍ، **وفى صدره داءُ دوى**"[٥].

وأصل الكلام " داءُ دوى في صدره" ، وعمد الخطيب إلى تقديم الخبر على النكرة الموصوفة ؛ لتخصيص المعارضين لولاية يزيد العهد بأن صدورهم تغلي حقدًا عليه .

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٢٧٧/٢.

(٢) السابق ٢٧٩/٢.

(٣) ينظر: سيبويه ، الكتاب ١٢٨/١، ابن جنى ، الخصائص ٣٨٤/٢، ابن يعيش ، شرح المفصل ٩٣/١، السيوطي ، الهمع ١٠٣/١.

(٤) مصطفى عراقي حسن ، دور النحو في تفسير النص الشعري ، صـ٣١، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق.

(٥) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٢٤٤/٢.

الصورة الثالثة : الخبر (شبه جملة) والمبتدأ نكرة مخصصة بالإضافة.

* قول المهلب بن أبي صفرة :"**إليَّ إليَّ عباد الله...**"[1].

وأصل التركيب (عباد الله إليَ إليَ) ، ويبدو أن الخطيب آثر العدول للحث على استجابة نداءه ، وسرعته في جمع الأتباع والمناصرين ، وهو المدلول الذي لا يحمله التركيب الأساسي ، وهنا تظهر القيمة الدلالية للعدول في النص ، ويقوي هذا الرأي تكرار شبه الجملة (إليَّ) المفيد للتأكيد .

وإذا كان النحاة قد أجازوا تقديم الخبر على المبتدأ في بعض الحالات ، فإنهم اشترطوا في المبتدأ التعريف وفى الخبر التنكير ، فأصل الكلام أن يقدم المبتدأ المعرفة على الخبر النكرة ، يقول سيبويه :" وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدأ بالأعرف ، وهو أصل الكلام"[2].

وحجتهم في هذا أن النكرة مجهولة ، والإخبار أو الحكم على المجهول لا يفيد ولكن إذا وقعت إفادة من النكرة جاز الابتداء بها ، ومن وسائل إفادتها أن تخصص بإضافة أو وصف ، ووضعوا في هذا ما عُرف بمسوغات الابتداء بالنكرة[3].

الصورة الرابعة : الخبر وصف مشتق ، والمبتدأ ضمير منفصل.

- قول الحر بن يزيد:"... **مقاتل أنت** هذا الرجل.."[4].

فالبنية الأساسية للتركيب : أنت مقاتل هذا الرجل ، ولكنها رتبة لا تبرز الدلالة المقصودة وهي الاستفهام التعجبي ، فعدل عنها إلى هذه الرتبة الظاهرة ، وهى رتبة اختيارية أجازها البصريون ، وقالوا بتأخير المبتدأ إذا كان ضميراً منفصلاً ، ويفهم هذا من قول سيبويه:"وهذا عربي جيد ، وذلك قولك :تميمي أنا"[5] إذ تقدم الخبر (تميمي) وتأخر المبتدأ الضمير المنفصل (أنا).

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٢٤٩/٢.

(٢) ينظر : سيبويه ، الكتاب ٣٢٨/١، المبرد ، المقتضب ٢٢٢/٣، ابن السراج ، الأصول ٦٤/١.

(٣) تنظر هذه المسوغات في :سيبويه،الكتاب ٣٢٩/٢، ابن يعيش ، شرح المفصل ٨٦/١، ابن عصفور، المقرب ، تحقيق عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري٨٢/١ ،مطبعة العاني ، بغداد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ٨٦/١، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

(٤) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٥٦/٢.

(٥) سيبويه ، الكتاب ١٢٧/٢.

الصورة الخامسة : الخبر (نكرة) والمبتدأ معرفة.

وذلك في قول أصحاب ابن الأشتر:" ....يا بن الأشتر **آمنون نحن** ؟ قال نعم....."[١] حيث عدل أصحاب ابن الأشتر عن الرتبة الأساسية (نحن آمنون) إلى الرتبة غير الأساسية ، مقدمين الخبر النكرة (آمنون) على المبتدأ الضمير المنفصل (نحن) ، والتقديم هنا يبرز بحث أصحاب ابن الأشتر عن الأمان فسياق الحال يشير إلى وقوعهم تحت الحصار ، وفرار القائد والزعيم وتربص أصحاب المختار الثقفي بهم ، لذا كان البحث عن الأمن هو الهدف الأول لهم ، وهو ما جلّاه العدول التركيبي في السياق.

ويذهب النحاة[٢] إلى أن أصل المبتدأ التعريف ، وأصل الخبر التنكير وإذا اجتمعتا تقدمت المعرفة على النكرة ، إلا أن تقديم النكرة على المعرفة في بنية الجملة الاسمية لم يستقبحه الخليل وارتضاه سيبويه ، وذلك إذا جعلنا النكرة خبراً مقدماً ، يقول سيبويه :" زعم الخليل أنه يستقبح أن يقول قائم زيد ، وذلك إذ لم تجعل (قائماً) مقدماً مبنياً على المبتدأ[٣] ، مما يعنى جواز تقديم النكرة على المعرفة إذا أمن اللبس ووضحت الدلالة ، خلافاً لما ذهب إليه الكوفيون وابن الطراوة والسهيلي بمنع التقديم[٤].

المبحث الثالث: أثر السياق في العدول التركيبي الاسمي المقيَّد.

تبقى علاقة الإسناد قائمة بين المبتدأ أو الخبر بعد دخول الحروف والأفعال الناسخة عليهما ، فالاسم والخبر بعد النواسخ بمنزلة المبتدأ أو الخبر ، يقول سيبويه :" مما يكون بمنزلة الابتداء قولك : كان عبد الله منطلقاً ، وليت زيداً منطلق ؛ لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده "[٥]، إلا أن دخول الناسخ يتضمن نوعاً من تقييد الإسناد في الجملة الاسمية ، سواء أكان تقييداً بالسلب :أي نفى هذا الحكم وإزالته ، أو تقييدَا للزمن أي ربط الحكم بفترة لا تتجاوزها، أو تقييداً بتحديد المشاعر المصاحبة للحكم ، أو الظروف المحيطة به ، أو تقييداً بالتأكيد "[٦].

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٨٤/٢.

(٢) ينظر :سيبويه ، الكتاب ١٢٧/٢، المبرد : المقتضب ١٢٧/٤، ابن يعيش، شرح المفصل ٨٥/١.

(٣) سيبويه : الكتاب ١٢٧/٢.

(٤) ينظر: ابن الأنباري ، الإنصاف ، تحقيق جودة مبروك محمد ٦٥/١، مكتبة الخانجي ، ط١ القاهرة ٢٠٠٢م ،السهيلى ، نتائج الفكر في النحو ، ص٤٠٨، ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ٢٢٧/١.

(٥) سيبويه ، الكتاب٢٣/١.

(٦) علي أبو المكارم ، الجملة الاسمية ، ص٧٥.

ويرى البحث أن التقييد لطرفي الإسناد يخضع لملابسات السياق ، وهو ما أشار إليه النص السابق.
وقد لعب السياق دوراً بارزًا في العدول التركيبي لهذا الإسناد المقيد ، وورد على عدة صور ، منها :
الصورة الأولى : تقديم خبر (كان) وأخواتها على اسمها ، ويشمل :
١ـ الخبر (شبه جملة) والاسم معروف بـ (ال) ، وورد في :
(أ) قول عبد الله بن وال التيمى : "...فكانت **بهما اليدان**.."[١].
حيث وردت البنية الظاهرة : (فكانت بهما اليدان) بتقديم (كانت) ، تلاها الخبر الجار والمجرور(بهما) ، وتأخر الاسم المعرف بـ (ال) " اليدان" وهى بنية معدولة عن البنية الأساسية (فكانت اليدان بهما) التي يتقدم فيها الاسم على الخبر.
(ب) قول عبد الله بن الزبير :" ... أما بعد : فإنه لم يُعز الله من كان الباطل معه ، **وإن كان معه الأنام طرًا** ،.."[٢].
حيث وردت البنية الظاهرة :" كان معه الأنام طرًا بتقديم "كان" تلاها الخبر "مع"[٣] ، وتأخر الاسم المعرف بـ "ال" (الأنام) وهى بنية معدلة عن البنية الأساسية (كان الأنام معه طراً) التي يتقدم فيها الاسم على الخبر.

٢ـ الخبر شبه جملة ، والاسم مصدر مضاف إلى معموله ، كما في :
- قول الوليد بن عبد الملك :" ...**وقد كان من قضاء الله وسابق علمه موت ولى هذه الأمة...**"[٤]، وردت البنية الظاهرة في النص ، معدلة عن البنية الأساسية (وقد كان موت ولي هذه الأمة من قضاء الله وسابق علمه) حيث تقدم الخبر شبه الجملة معطوفًا عليه جملة أخرى على اسم كان (موت) وهو المصدر المضاف إلى مفعوله.

٣ـ الخبر شبه جملة والاسم مصدر صريح ، كما في :
- قول الحسن :" ... **وكانت لي في رقابكم بيعة** .."[٥].
حيث وردت البنية الظاهرة كانت لي في رقابكم بيعة بتقديم "كان" تلاها الخبر"لي" شبه جملة ، وتأخر الاسم وهو مصدر صريح "بيعة" وهى بنية معدولة عن البنية الأساسية "وكانت بيعة لي في رقابكم " التي يتقدم فيها

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٦٧/٢.
(٢) السابق ١٧٦/٢.
(٣) يرى جمهور النحاة أن (مع) تستعمل مضاف ، كما تستعمل مفردة ، فإن جاءت مضافة فهي ظرف ، ينظر: الكتاب ٤٥/٢ ، السيوطي ، الهمع ٢١٧/١ ، الأشموني ٢٦٥/٢.
(٤) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ١٩٩/٢.
(٥) السابق ١٢/٢.

الاسم على الخبر.

٤- الخبر شبة جملة والاسم معرف بـ " الموصولية" ، كما في :

قول الحسن :" ... وليس **فيهم مَن يؤمن** بالله واليوم الآخر..."[١].

حيث تقدم الخبر(فيهم) على الاسم المعرَّف بالموصولية (من) ، وأصل التركيب (وليس من يؤمن بالله واليوم الآخر فيهم).

وتوسط الخبر بين الفعل الناسخ واسمه موضع خلاف بين النحاة ، حيث أجازه البصريون ، ما لم يمنع مانع أو موجب ، ومن الموجب له ــ مثلاً ــ أن يضاف الاسم إلى ضمير يعود إلى شيء في الخبر ، نحو : كان خائن الأمانة حارسها ، ومن المانع- مثلاً - خوف اللبس ، نحو : كان صديقي عدوى ، أو حصر الاسم في الخبر نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (الأنفال ٣٥) أو كون الخبر تركيباً إسناديًا أي جملة نحو:" كان زيد أبوه مسافر وكان زيد يمر به عمرو" ، بينما منعه لكوفيون ؛ لأن الخبر فيه ضمير الاسم فلا يتقدم على ما يعود عليه ، ومنعه ابن معط في (دام)[٢].

ويضع سعيد بحيرى شرطًا لتقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة أو على الاسم في التركيب المقيد ، وهو أن تكون شبة الجملة مستقرًا لا لغوًا والمستقر هو الذي يشكل جزءاً من جملة الإسناد ؛ لأنه يفسر مع الخبر المتضمن في الظرف ، و به تكمل الفائدة في الجملة الاسمية ، أما اللغو فهو المتعلق بأي من ركني الإسناد ولا ينتج عن حذفه نقص في دلالة الجملة الاسمية على التمام ، بل تكون وظيفته في تعلقه ، حيث يقيد معنى المسند أو المسند إليه من خلال معنى إضافي[٣].

ويرى البحث أن هناك دلالات أخرى لتقديم شبه الجملة إضافة إلى الدلالة الأصلية المتمثلة في الاهتمام بالمتقدم والعناية به ، ومن هذه الدلالات:

(أ) التهكم والسخرية : " وإن كان معه الأنام طراً "

(ب) التخصيص : كما في "وكانت لي في رقابكم بيعة"

(جـ) التقرير: كما في " وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ... موت ولى هذه الأمة".

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٢/٢٥.

(٢) ينظر : السيوطي ، الهمع ١/١١٧ ، حاشية الصبان على الأشموني ١/٢٣٢.

(٣) سعيد بحيرى ، ظواهر تركيبية في مقابسات أبى حيان التوحيدي ، صـ ١٩١، مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٩٥م.

الصورة الثانية: تقديم الخبر على (كان) وأخواتها :

تقتضى الرتبة الأساسية للجملة الاسمية المنسوخة تقديم الناسخ على الاسم والخبر بيد أن النحاة أشاروا إلى جواز العدول عن هذه الرتبة إلى رتبة غير أساسية بتقديم الخبر على (كان) ما لم يكن هناك مانع ، وهذا مذهب الجمهور، ولم يخالفهم فيه إلا الكوفيون[١] ، قال ابن جني : " ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ ... وكذلك خبر (كان) وأخواتها على أسمائها ، وعليها نفسها[٢] "، وأرجع الجمهور الجواز إلى أن " خبر (كان) يشبه المفعول به ، والمفعول به يجوز تقديمه على الفعل فكما جاز : عمراً ضرب زيد ، يجوز قائماً كان زيد "[٣].

ويُلحظ هذا العدول في الخطب السياسية الأموية في :

(أ) قول الحجاج:" ... وما يوم الزاوية **بها كان فشلكم** ، ... وما يوم دير الجماجم **بها كانت المعارك والملاحم..**"[٤].

حيث وردت البنية المنطوقة بتقديم الخبر بها على الفعل الناسخ (كان) وتأخير الاسم (فشلكم ، المعارك) ، وهى بنية معدولة عن البنية الأساسية (كان) فشلكم بها ، .. كانت المعارك والملاحم بها ، ويرى البحث أن تقديم خبر (كان) عليها في خطبة الحجاج الثقفي قد أحدث اتساقاً بنيوياً وصوتياً مع الجمل الأخرى ، مما حقق للنص تماسكه ، حيث بدأت عباراته بتقديم الخبر، كما عمل هذا العدول على توضيح التخصيص المكاني لوقوع الحدث ، فاعتنى الخطيب بالمكان (الزاوية/ دير الجماجم) فقدمه ، مما يثير في نفوس السامعين شعور الخزي والذل ، كما أن طرقة الصوتي على نفس الظرف (بها) دلالة على وحدة الحدث مما يحدث تركيزاً ذهنياً للمتلقي.

(ب) قول أبى حمزة الشاري :" ... وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم ،**غيًّا كان أو رشداً**[٥] ....."

حيث وردت البنية المنطوقة بتقديم الخبر(غياً) ، على الفعل الناسخ (كان) وتأخير الاسم المستتر (هو) ، وهى بنية معدولة عن البنية الأساسية (كان هو غياً ...) ويرى البحث أن تقديم الخبر فى خطبة أبى حمزة الشاري يدل على التقريع واللوم ، فالمستمعون يطيعون الشيطان في كل أمر، والشيطان لاشك- يأمرهم بالغي والظلم ، فناسب أن يقدم الخبر لموافقة

---

(١) ينظر : ابن الأنبارى ، الإنصاف ١٦٠/١ ، الاسترابادى ، شرح الكافية ٢٠١/٤ ، السيوطي الهمع ٨٨/٢، ٨٩.

(٢) ابن جني : الخصائص ٣٨٢/٢ ، ٣٨٣.

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ١١٣/٧.

(٤) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٢٩٤/٢.

(٥) السابق ٤٧٤/٢.

سياق الحال فهم خارجون عن طاعته ويعيبون أصحابه ويفرِّقون كلمة المسلمين وهذا من الغي والضلال ، كما عمل السياق اللغوي على الإشارة إلى الحذف في قوله (أورشداً) والتقدير ـ كما يشير السياق ـ أو كان رشداً مما حقق اتساقاً صوتياً من خلال التنوين ، وسبكاً لغوياً من خلال الحذف والعدول التركيبي.

الصورة الثالثة : تقديم خبر (إن) وأخواتها على اسمها

١ ـ الخبر شبه جملة ، والاسم معرف بالإضافة:

قول ابن مطيع :" أيها الناس ، إن **من أعجب العجب عجزكم** عن عصبة منكم.. [١] "، حيث تقدم الخبر الجار والمجرور " من أعجب .. وتأخر اسم "إن" المعرف بالإضافة (عجزكم)، وهذه البنية المنطوقة معدولة عن البنية الأساسية (إن عجزكم عن عصبة منكم من أعجب العجب) ، وقد أفاد التقديم الحث على قتال هؤلاء القوم ، فهم عصبة قليلون يؤرقون سياسة الدولة.

٢ ـ الخبر شبه جملة ، والاسم (نكرة مخصصة):

وتقديم الخبر على الاسم في التركيب الاسمي المقيد ، مثله كمثل تقديم الخبر على المبتدأ النكرة المخصصة بالوصف ، وأجاز النحاة تقديم خبر (إن) شبه الجملة ، وأن يتوسط الحرف الناسخ والاسم[٢] ، إذ لا يجوز أن تقول : إن منطلق زيداً ، ويجوز أن تقول إن في الدار زيداً ، وذلك لأنهم قد توسعوا فى الظروف وخصوها بذلك لكثرتها في الاستعمال[٣] ، ويستوي في ذلك تأخير الاسم المعرفة أو النكرة المخصصة ؛ لأن النكرة المخصصة يجوز الابتداء بها.

ويلحظ هذا العدول في الخطب السياسية في :

١ ـ قول " صعصعة بن صوحان": "... إلا **أن بها أجلافاً تمنع** ذوى الأمر الطاعة ..."[٤]، حيث تقدم الخبر الجار والمجرور (بها) على اسم (إن) النكرة (أجلافاً) المخصصة بالوصف (تمنع ذوى الأمر الطاعة) ، وهذه البنية المنطوقة معدولة عن البنية الأساسية (إلا أن أجلافاً تمنع ذوى الأمر الطاعة بها) والتقديم هنا يكشف عن اهتمام الخطيب بالمكان ، كما عمل على تخليص الخبر من توابع الاسم ، فالاسم جاء موصوفاً فطال ، فقدَّم العنصر القصير (بها) وأخَّر العنصر الطويل الاسم الموصوف تخليصاً للخبر من توابع الاسم.

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٨٣/٢.

(٢) ينظر : المبرد ، المقتضب ١٠٩/٤ ، ١١٠ ، ابن يعيش : شرح المفصل ١٠٣/١ الاستراباذي ، شرح الكافية ٢٠٥/٤، ٢٠٤.

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ١٠٣/١.

(٤) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ١٤٨/٢.

٣ـ تقديم الخبر (شبه الجملة) والاسم معرف بالموصولية.

ـ قول رجل من آل صوحان:" ... أما علمتم **أن فينا مَن هو** أنطق منكم..."[١].

حيث تقدم الخبر شبه الجملة (فينا) على اسم (أن) المعرف بالموصولية (من) وهى بنية معدولة عن البنية الأساسية (أما علمتم أن من هو انطق منكم فينا) ، وتقديم الخبر يؤكد امتلاك المتحدث لرجال ذوى فصاحة وبيان كما عمل التقديم على العناية بالخبر دون سواه في التركيب.

المبحث الثالث: أثر السياق في العدول التركيبي الفعلي :

(أ) الصورة الأولى : تقدم المفعول الأول على الفاعل .

الأصلُ في السياق الطبيعي للجملة الفعلية أن يقع المفعول بعد الفاعل[٢] ولكن من الممكن في بعض الأحيان أن يتقدم المفعول على الفاعل خطوة فيتوسط بين الفعل وفاعله[٣] ، ويجب إهمال الترتيب الأصلي ، وتقديم المفعول به على الفاعل في ثلاثة مواضع[٤]:

الأول : إذا كان المفعول ضميراً متصلاً ، والفاعل اسماً ظاهراً ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ١٨٦)

الثاني : أن يتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة ١٢٤)

الثالث : أن يكون الفاعل محصوراً بـ "إلا" أو " إنما" ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (فاطر٢٨)

كما أوجب النحاة حالات يحافظ فيها على تأخير المفعول وتقديم الفاعل عليه[٥] و يأخذ كل منهما موقعه فى الجملة الفعلية ، فتكون الرتبة (فعل + فاعل +مفعول) إلا أن هذه الرتبة قد يغيرها المتكلم لهوى في نفسه أو غرض يقصده ، فتأتى الأبنية الظاهرة أو المنطوقة معدولة عنها إلى تقديم المفعول على الفعل أو على الفاعل ، وهى رتبة اشترطوا لها وجود قرينة لفظية أو معنوية تميز بين الفاعل والمفعول ، وقد أشار ابن عصفور إلى ذلك بقوله : " أن يكون في الكلام إعراب مبين أو معنى مبين ، أو تابع

---

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ١٥٧/٢.

(٢) ينظر: المبرد ، المقتضب ١٠٢/٤ ، ابن يعيش ، شرح المفصل ٧٦/١.

(٣) على أبو المكارم ، الجملة الفعلية ، صـ٩٢ دار المختار، ط١ ، القاهرة٢٠٠٧م.

(٤) ينظر : ابن هشام ، أوضح المسالك ٨٥،٨٦/١ ، خالد الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ٢٨٣/١ ، السيوطي ، الهمع ٥٨٢/١ ، شرح ابن عقيل على الألفية ٦٧،٦٨/١.

(٥) ينظر :المبرد المقتضب ١١٢/٣ ، ١٠٢/٤ ،ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ١٠٢/٢، الاستراباذى شرح الكافية ٢٢٩/١.

مبين أو لفظ مبين ، وذلك نحو ضرب زيدًا عمرو أكل كمثرى موسى، فإن لم يكن في الكلام شيء من ذلك ، فالفاعل هو المقدم والمفعول هو المؤخر"[1]، " فالقرائن المميزة تعطى المتكلم الحرية في ترتيب ألفاظه [2].

ويلحظ هذا العدول التركيبي في الخطب الأموية ، حيث قصد الخطباء العدول عن الرتبة الأساسية للتعبير عما يدور في أنفسهم من أغراض، ومن ذلك:

- قول كثيربن شهاب :" .. وقد **أعطى الله الأمير عهداً** لئن تممتم على حربه ، و لم تنصرفوا أن يحرم ذريتكم العطاء"[3].

وقد أسهمت قرينة الإعراب في تعيين الفاعل والمفعول ، حيث ورد اسم الجلالة (الله) منصوباً لوقوعه مفعولًا أولًا للفعل المتعدي (أعطى) ، و (الأمير) مرفوعاً ، فتعين المفعول بالنصب والفاعل بالرفع ، كما أسهمت القرينة المعنوية من ناحية أخرى في بيان الفعل والفاعل ؛ لأن الأمير هو الذي عاهد الله واشترط على الرعية طاعته وهو ما يبرزه السياق اللغوي للنص .

ويرى البحث أن تقديم المفعول على الفاعل ـ هنا ـ لإفادة التعظيم وحث المخاطبين على الطاعة ؛ لأن العهد مع الله يقتضى الوفاء وعدم النكث به.

(ب) الصورة الثانية : تقديم المفعول به على الفاعل .

قول ابن عباس:" **... يوجع كتفيه مراسها..**"[4].

وقد أفاد تقديم المفعول به " كتفيه " التركيز عليه ، والإحالة بالضمير المتصل (الهاء) في (كتفيه) إلى المذكور سلفاً أول النص وهو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) وميَّزت قرينة الإعراب بين الفاعل والمفعول لأن المفعول (كتفيه) منصوب بالياء لأن مثنى ، كما ظهرت حركة الضم على الفاعل (مراسها) ، وقد آثر الخطيب هذا العدول التركيبي ؛ ليوضح حجم المسئولية التي كانت على عاتق عمر بن الخطاب ، حتى أن الخلافة قد أصبحت حملاً على كتفيه.

---

(١) ابن عصفور ، شرح جمل الزجاجي ، تقديم فواز الشعار ، إشراف إميل بديع يعقوب ١٦٣/١، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، لبنان ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

(٢) دور القرائن في تحديد الوظائف النحوية ، ينظر : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٩١ ، وما بعدها.

(٣) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٣٩/٢.

(٤) السابق ١٠١/٢.

المبحث الرابع: أثر السياق في العدول التركيبي الشرطي

الشرط عند النحاة : ترتيب أمر على آخر بأداة ، وأدوات الشرط هي الألفاظ التي تستعمل في هذا الترتيب ، والشرط ـ عندهم ـ يعني وقوع الشيء لوقوع غيره[١].

والعلاقة السببية بين جملتي الشرط والجواب ، والتي تقتضي وقوع معنى الجواب نتيجة من وقوع معنى الشرط ـ تلزم تقدم جملة الشرط (السبب) ، وتأخر جملة الجواب[٢] (النتيجة) ، وتكون الرتبة الأساسية.

أداة الشرط + جملة الشرط + جملة الجواب

وهذه الرتبة قد تعدل عنها اللغة المنطوقة فتقدم الجواب على الأداة ، وقد ذهب البصريون إلى استحالة تقديم شيء من معمولات فعل الشرط ، ولا فعل الجواب عليها ، فأداة الشرط لها صدر الكلام[٣] ، بينما ذهب الكوفيون إلى جواز ذلك ، وكذلك الأخفش ، كما أجاز المبرد تقديم الجواب إن كان الفعل بعد حرف الجزاء ماضياً[٤] ، وذهب المازني إلى القول بأن الجواب يتقدم إن كان مضارعاً ويمتنع إن كان ماضياً"[٥].

ويرى البحث : جواز تقديم جواب الشرط على الأداة بشرط التناسق الدلالي والتركيبي بين المتقدم والمتأخر ، وألا يحدث لبس في حالة إعادة الرتبة إلى الرتبة الأساسية التي تتأخر فيها جملة الجواب ، ويرجح هذا الاتجاه أنه من غير المعقول أن نقدر جواباً محذوفاً ولدينا جواب مذكور ، وهذا ميل يتفق مع مراد المعنى المطلوب من علاقة الشرط بالجواب"[٦].

والعدول عن الرتبة الأساسية للتركيب الشرطي تفرضها طبيعة السياق اللغوي ووردت في الخطب السياسية الأموية على صورة واحدة ، هي :

تقديم جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط

(أ) قول " الحر بن يزيد" :" **لا أسقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا** .."[٧].

حيث توسطت أداة الشرط (إن) بين الجواب المتقدم (لا أسقاكم الله يوم الظمأ) ، وجملة الشرط المتأخرة (لم تتوبوا) ، فتصير الرتبة :

---

(١) ينظر المبرد : المقتضب ٤٥/٢ ، ابن يعيش : شرح المفصل ٤١/٧.

(٢) يرى أبو حيان أن التسمية بالجواب والجزاء مجاز ، ووجهه أنه شابه الجزاء من حيث كونه فعلاً مترتباً على فعل آخر فأشبه الفعل المرتب على فعل آخر ثواباً عليه أو عقاباً الذي هو حقيقة الجزاء ، وشابه الجواب من حيث كونه لازماً عن القول الأول ،فصار كالجواب الآتي بعد كلام السائل ، ينظر : أبو حيان ، ارتشاف الضرب ١٨٦٢/٤.

(٣) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ١٨٧٩/٤.

(٤) المبرد ، المقتضب ٦٦/٢.

(٥) السيوطي ، الهمع ٥٦٠/٢.

(٦) أحمد كشك ، من وظائف الصوت اللغوي ، محاولة لفهم صرفي ونحوى ودلالي ، صـ ٦٩ دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

(٧) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٥٧/٢.

جملة جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط
والأصل : إن لم تتوبوا لا أسقاكم الله يوم الظمأ ، وهذا العدول التركيبي الذي صدر فيه الخطيب النتيجة قبل السبب يتفق مع سياق النص الذي يتحدث عن منع الحسين شرب ماء الفرات ، في قوله :" وحلأ تموه ونساءه وأصيبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابها وهاهم قد صرعهم العطش[1]"، ومن ثَم اقتضى السياق العدول التركيبي لتحقيق التناسق الدلالي ، فإن كان الحسين وأصحابه قد صرعهم العطش ، فلا أسقى الله من لم يأخذ بثأره.

(ب) قول "المختار الثقفي" :"... **ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً** "[2].
حيث توسطت أداة الشرط (إن) بين الجواب المتقدم (لست أبا إسحاق) وجملة الشرط (إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً) ، والأصل :إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً لست أبا إسحاق.
ويرى البحث أن الخطيب عمد إلى هذا العدول؛ لأن جملة الشرط هي الأهم لديه في المعنى ، والأكثر تركيزاً ، فبها يجذب الانتباه ، ويبين مدى تصميمه على الحدث"[3] ، كما أن السياق اللغوي يقوى هذا الرأي ، فهو يقول في خطبته:"... وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار ، في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم..."[4].

(١) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٥٧/٢.
(٢) السابق ٨٦/٢.
(٣) إبراهيم إبراهيم بركات : الجملة الشرطية عند الهذليين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة صـ ٢٩٣ ، ١٩٧٧م.
(٤) أحمد زكي صفوت ، الجمهرة ٨٦/٢.

الخاتمـة

بعد عرض البحث لصور العدول التركيبي في الخطب السياسية الأموية وبيان دلالة التقديم من خلال الدلالات المختلفة التي قصد إليها الخطباء نجد أن تقديم الخبر على المبتدأ أسهم في السياق اللغوي للنص إسهامًا قويًا من خلال:

أولاً : كان تقديم الخبر على المبتدأ انعكاساً صادقاً لنفسية المتكلم ، وبياناً لانفعالاته السياسية وانتماءاته الحزبية.

ثانياً : كان للتقديم دوره في تماسك التركيب الوارد فيه ، وذلك من خلال علاقة الإسناد بين المبتدأ أو الخبر ، ويزداد هذا الدور كلما تباعدت المساحة بينهما ، فإذا كان الإسناد إلى متقدم من وسائل التماسك(٥) ، فإن الإسناد إلى متأخر كذلك من وسائله ؛ لأن الخطيب يبدأ تركيبه ويختمه بركني الإسناد المتلازمين.

ثالثاً : كان تقديم الخبر وسيلة من وسائل الامتداد الدلالي ، إذ يقدم الخبر باعتباره العنصر القصير ، ويؤخر المبتدأ الذي يتلوه بتوابع ومتعلقات توسع دلالته فيصير عنصراً طويلاً، أو ممتداً.

رابعًا : كان للعدول في التركيب الفعلى أثرٌ واضح في تقديم ما هو أولى وأحق بالعناية والاهتمام ، حيث كشف السياق عن تقديس العهد بين الله و الأمير ، وانعكاس هذا التقديس على سياسته مع الرعية .

خامسًا : أدى العدول في التركيب الشرطي إلى إكساب النص دلالة جديدة ، حيث عمد خطباء الخوارج إلى تقديم الجواب على الشرط لجذب أكبر عدد ممكن من الأتباع ؛ لما يحمله الشرط من دلالة للقيد .

سادسًا : عمدت الأحزاب السياسية الأموية ــ في كثير من نصوصها الخطابية إلى العول التركيبي لدلالات خاصة يقصدها كلّ حزب ، لكنها تشترك في الدلالة العامة ، وهي تقديم الأهم وتأخير الأقل أهمية .

المصادر و المراجع

إبراهيم إبراهيم بركات :

١- الجملة الشرطية عند الهذليين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة،١٩٧٧م.

الإستراباذي :

٢- شرح الرضي على الكافية ، تصحيح يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، ط٢، ليبيا١٩٩٦م.

أحمد عبد العزيز كشك:

٣- من وظائف الصوت اللغوي ، محاولة لفهم صرفي ونحوى ودلالي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

أحمد مختار عمر:

٤- علم الدلالة ، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.

ابن الأنباري :

٥- ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق جودة مبروك محمد ، مكتبة الخانجي ط١ ، القاهرة ٢٠٠٢م .

تمام حسان :

٦- البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب، ط٢، القاهرة١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

٧- اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الجرجاني :

٨- دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر،مطبعة المدني ، القاهرة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.

جمعان عبد الكريم :

٩- إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، المركز الثقافي العربي ، ط١ الدار البيضاء ٢٠٠٩ م .

ابن جني :

١٠- الخصائص ، ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤، القاهرة١٩٩٩م.

حلمي خليل :

١١- الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ الإسكندرية ١٩٩٦م .

أبو حيَّان:

١٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق مصطفى أحمد النحاس ، دار المدني، ط١، جدة ١٤٠٤هـ ،١٩٨٤م ،

خالد الأزهري:
١٣ـ شرح التصريح على التوضيح ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.
ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي :
١٤ـ دلالة السياق ، مطبوعات جامعة أم القرى ، سلسلة الرسائل العلمية ١٤٢٤هـ .
الزمخشري :
١٥ـ أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ط١، بيروت ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
ابن السرَّاج :
١٦ـ الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ط١، بيروت ١٩٨٧م.
سعيد بحيرى :
١٧ـ ظواهر تركيبية في مقابسات أبى حيان التوحيدي ، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٥م .
السهيلي:
١٨ـ نتائج الفكر في النحو العربي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
سيبويه :
١٩ـ الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، القاهرة ١٩٧٩م .
السيوطي :
٢٠ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد السلام هارون ،عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .
الصبَّان :
٢١ـ حاشية الصبان على الأشموني، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة (د . ت) .
طه عبد الرحمن :
٢٢ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، ط٢،الدار البيضاء ، المغرب ٢٠٠٦م.
عاطف مدكور:
٢٣ـ علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٧ م.